في الترجمة واللغات!

الترجمة سفر عبور من لغة إلى اخرى ومن ثقافة إلى ثقافة. ولتهذيب المجتمعات بل البشرية جمعاء وتعزيز مناخات السلام بينهما، لا بدّ من ان يتفقد كل صاحب ذهن ثاقب او طالب علم ومعرفة إلى كل ارجاء الوجدان الإنساني. لذا، ان الترجمة عماد اساسي لازدهار الفكر وتالياً السلوك البشري.

الفكر في الشرق والغرب لم يستقم فعلاً إلا عبر فلسفة ارسطو، ولم يعرف شيئاً من الاستقرار والثبات في دنيا الفلسفة والعلوم وتالياً الحياة إلا برجاحة رايه وسداد تعليمه.

يبقى المتنوّرون من الشرفاء العقلاء يميلون إلى المحجة الأرسطية القويمة على الخصوص ويعوّلون على واقعيتها الراسخة ويستمدون من ذلك الفيلسوف العظيم وذاك العبقري الفذ اساليب تفكيره، ومبادئ بحثه عن الحقائق وتنقيره.

ولكنّ ارسطو لم ينطلق من لا شيء، ومَن انطلق منه ومن سواه صوّبوا بعض الآراء وحيّنوها. وكان للترجمة على الدوام الدور الأساسي في ذلك...

يقول احد الفلاسفة الارسطيين ان اخطر البشر هم اولئك لا يقراون إلا في كتاب واحد. لذلك انكبت الحكومات الرشيدة على دعم حركات الترجمة والتعريب. وعندي ان الإلمام باللغات القديمة من الأهمية بمكان. ذلك ان هذا الإلمام يقولب الذهن ويرشده إلى سبل التحليل والتركيب وإلى أطر التفكير السليم والنقد البناء..

المترجم، كما الاديب، هو خير واسطة لربط القلوب وتوثيق المبادئ المختلفة وتفاهم الشعوب ونشر الثقافة في اربعة انحاء المعمور. وقد ادركت هيئة الامم المتحدة، ما لهذين الميدانين المتفاعلين من مقام عالٍ واثر فعّال، في توجيه النّاس شطرَ هدف الوئام والسلام، فقررت ذات يوم بالإجماع، في القسم الثاني من دورتها الأولى المنعقدة في نيويورك، ابتداء من ٢٣ تشرين الأوّل ١٩٤٦ إلى ١٥ كانون الأوّل منه انها تعتبر ان ترجمة الروائع الأدبية والفكرية العالمية إلى لغات اعضاء الامم المتحدة، من شانها ان تساعد على التفاهم وانتشار السلام بين الأمم، إذ تخلق ثقافة مشتركة لجميع الشعوب.

هذا وإيم الحق، برهان قاطع على مكانة الآداب والترجمة والتعريب، وعظيم تاثيرها في خلق عالم جديد يسوده التعاون، وإقرار صريح بان ما تفسده السياسة تصلحه ترجمة روائع الدنيا.

بعد سنوات طويلة من تدريس اللغات الميتة والحيّة والترجمة في كبريات الجامعات الأجنبية والعربية، يمكنني القول ان مَن تحرّى المذاهب الفكرية والنظريات الفلسفية التي درّستها هي ايضا، موقن معي، انه لن يصفو للفلاسفة جوّ في ايامنا، ولن يبلّغ رائدو الحكمة إلى ربوعها وطالبو الحقيقة الإنسانية إلى مناجعها، ما لم يعدلوا هم وسواهم من اصحاب الراي او النفوذ، في الأساس، عن نزهات الاستيهامات والتهافت البغيض ويميلوا الى محجة كبار الفلاسفة ويعوّلوا على اثرها الناجع.

ايها الوزراء «المعنيّون» عزّزوا في وطننا بالذات شؤون الترجمة وشجونها، بذلك تساهمون ربما في إنقاذ الوطن فيرتقي شعبنا ويصل كل مواطن إلى هدفه الأسمى وامله المنشود في إطار من الوطنية المتزنة والانسنة الرحبة والسخية.

د. جهاد نعمان

استاذ في المعهد العالي للدكتوراه